(5) الأرض الملعونة

– هل يمكن أن ترشدني إلى متجر (عالم الخيال) لبيع الهدايا الترويجية الجديدة؟ هل تعلم أين يقع؟

ألقى (رامي) هذا السؤال للمرة العاشرة على أحد المارة، والإجابة الوحيدة التى يسمعها: لا نعلم أين. حتى سئِمَ من تلك الإجابة الوحيدة، ويئِسَ من العثور عليه، لكنه لن يستسلم، سوف يواصل البحث عنه حتى يجده.

– أنا أعلم أين يقع.

نطقها أحد الشباب، الذي كان يستمع إلى سؤاله، أجابه في لهفة قائلًا:

– أحقًا ما تقول؟! هل تعلم أين يقع متجر (عالم الخيال)؟

نظر له في ثقة، وابتسم قائلًا:

– نعم أعلم طريقه، ولكنه بعيد نسبيًا.

أجابه بسرعة:

– معي سيارة كما ترى، والوقت.....

قاطعه وهو يقول:

– أخشى أن تضلّ الطريق؛ لانه طريق متعرج وعِر، لكن يمكنني مساعدتك وإرشادك إلى الطريق.

فتح باب السيارة، وجلس بجواره وهو يقول:

- انطلِق والزَم الطريق الأيمن، ثم انحرِف يسارًا.

اندهَش كثيرًا من تصرفه الجريء، إلا أنه خشي أن يرفض عرضه ويضل الطريق، كما أنه لا يطيق صبرًا للذهاب إلى المتجر، بعد أن شاهد هدايا رائعة، وغير متوقعة، وغير تقليدية.

تجاهل ما حدث، ومضَى في طريقه مسرعًا نحوه..

متجر (عالم الخيال).

عشر دقائق مضت وهو يستمع إلى تعليماته بخصوص الطريق، حتى هتف:

- توقف أمام ذلك المنزل.

توقّف أمامه بالفعل، وهو يتفحص المكان جيدًا، كان مكانًا مقفرًا يخلو من المارة.

هبط مسرعًا من السيارة وهو ينظر إليه في دهشة متسائلًا:

- أين المتجر؟! هل هو في شارع جانبيّ؟!

ابتسم وهو يشير إلى باب منزل متهالِك قائلًا:

- المتجر من هذا الطريق، أغلِق السيارة واهبط.

هبط بالفعل من السيارة، وتأكّد من إغلاقها جيدًا حتى لا يسرقها أحد اللصوص، وانطلق خلفه.

بدلًا أن يصعد هبط إلى طابق تحت الأرض، وهو يشير بإحدى يدَيْه أن يتقدم، هبط خلفه، كان المنزل مقفرًا.. رائحته عطنة، سد أنفه بمنديل مبلّل، ثم أكمل الهبوط حتى وجد أمامه بابًا عليه لوحة مستطيلة، مكتوب عليها (عالم الخيال)، لم يصدّق نفسه.. أخيرًا عثر

عليه، سوف يبتاع منه الكثير من الهدايا الرائعة، لقد استعدّ جيدًا وأحضر معه مبلغًا ماليًا كبيرًا، دفع الباب بيده ودعاه للدخول، بمجرد أن دخل حتى أُغلِقَ الباب، كان المكان يعجّ بالهدايا واللوحات الجدارية الرائعة، أخيرًا وجد ضالته.. تقدم مهورًا نحو الهدايا.

فجأة..

وجد أمامه أكثر من خمسة أشخاص يشهرون المسدسات!

اعتقد أنها دعابة.. وأنها مسدسات صوت، لولا أن الشخص الذي أحضره معه قال في زهوٍ وتباهٍ:

– أرجوكَ لا تقاوم، نحن مسلحين ولن يمكنكَ التغلّب علينا؛ لذلك أنصحك بالاستسلام وعدم المقاومة.

ألجمَتْهُ المفاجأة، نظر إليهم كانت ملامحهم تنطلي عليها الجدّية الشديدة، لم يصدق ما حدث.. بالطبع لن يستطيع الهروب؛ فهم يفوقونه عددًا وتسليحًا، لم يكن أمامه إلا الاستغاثة، بالفعل صرخ بأعلى صوت قائلًا:

– أنقذوني.

أجابته ضحكاتهم الساخرة، ثم هتفَ كبيرهم:

– يا لَكَ من ساذج، نحن تحت الأرض، مهما صرخت بأعلى صوتٍ لن يجيبك أحد.

ثم ألقى المسدس إلى أحد من اللصوص، ثم استطرد قائلًا:

– أعدكَ بإعادتك سليمًا معافى بدنيًا إذا لم تبدي أية مقاومة، كما أننا سنقوم بإيصالك على الطريق الصحيح، أما لو قاومتَ وسبّبتَ لنا إزعاجًا أعدكَ بإعادتك أجزاءً.

انتفضَ جسده بعد هذا الموقف، لم يكن أمامه إلا الاستسلام بعد أن أدرك عدم جدوى المقاومة؛ لذا رفع يديه تحت ضغط الأسلحة وهو يشعر بالذل والهوان.

انقضّ الجميع على يده اليمنى كبّلُوها ثم تلتها يده اليسرى، ثم فوجِئَ بأحدهم ينقضّ عليه، ويغرس أنيابه في رقبته.

قبل أن يفقد الوعي هتف بكل غضب وهو يترنح:

– هذا لم يكن اتفاقنا.. لقد...

لم يشعر بشيء.. فقد الوعي.

استيقظ بعد مرور ثلاث ساعات، كان مكبّلَ الأيدي والأرجل، ومكمّمَ الفم وملقَى على منضدة مستطيلة، وجميع اللصوص بجانبه يبتسمون ابتسامة خبيثة، ثم اقترب منه زعيمهم وهو يقول:

– لقد كنتَ تنشدُ متجر (عالم الخيال) حتى تستطيع شراء الهدايا الجديدة والغير تقليدية، هل هذا صحيح؟

لم يكن باستطاعته التفوّه بكلمة، فهز رأسه بالإيجاب.

أطلق ضحكة طويلة، في حين انعقد حاجبه بشدة، ثم اقترب ببطءٍ شديد وهو يشير بإحدى يديه نحو رجاله، الذين اقتربوا أكثر.. وهم يُمنُّون أنفسهم بوجبة شهية، فجأة تحطم باب المنزل واندفع منه خمسةٌ من أصدقائه، سمع صوت طلقات نارية وأصوات تحطم الأثاث وعراكٍ بالأيدى بينهم، حاول الالتفات ليشاهد ما يحدث، إلا أن موقعه لم يكن يسمح له بذلك، صرخ بصوتٍ عالٍ:

– (حاتم)، أنا هنا.. تعالَ لتحررني.

اندفع تجاهه صديقه العزيز، وهو يقول متسائلًا:

– هل أصابك هؤلاء الأوغاد؟

تهلّلَت أسارير وجهه وهو يهتف:

– لماذا تأخرت؟! لقد كادوا أن يفتكوا بي، لكن لحسن الحظ كلّها إصابات سطحية، فُكّ وثاقي يا صديقي أولًا.

استجاب صديقه لمطلبه وحَلّ وثاقه، اعتدل وجلس ليشاهد اللصوص بجانبه وجميعهم مقيّدين.. وأفواههم مكمّمة..

ابتسَم وهو يقترب منهم رويدًا رويدًا.

هتف صديقه (رامي) في سعادة:

– حمدًا لله على سلامتك يا صديقي، هل حدث لك مكروه؟

أجابه وهو يمسك يده؛ ليشاهد بعض الكدمات والسجات، وبعض الدماء التى تسيل من جرح غائرٍ في رأسه، ثم هز رأسه بالإيجاب، وهو يهتف في حماس:

– لا يهم ما حدث، هيا بنا لنكمل ما بدأناه.

اندفع نحو زعيمهم وهو يكِيلُ له اللكمات، ثم انتقل إليهم جميعًا حتى اكتفى، بعد أن أفرغ ما بداخله من انفعال وشحنة غضب، بالطبع لم يحرّك أصدقاؤُه ساكنًا، جلس يستعيد ذكرياته القريبة وما آلت إليه الأمور حتى وصلت إلى هذا الحد.

كان صديقه (وليد) مُولَعًا بالتكنولوجيا، كان جُلّ همه الوحيد الحصول على أحدث المبتكرات، حتى عثر على متجر سرّي لبيع الهدايا والتذكارات السياحية والمبتكرات، وأحدث الهدايا من جميع أنحاء العالم، بالطبع كان كنزًا له، لقد شاهد ما خبَلَ لُبّه من أشياء لم

يتوقعها، كان كل ما يقف أمام طموحه في اقتنائِها هو ارتفاع سعر تلك الهدايا؛ لذا أقبل على اقتراض النقود حتى يتمكّن من شراء كل ما أعجبه من تلك الهدايا التى طالما رغب باقتنائها، انتظر شهرًا بأكمله حتى جمع مبلغًا ماليًا كبيرًا، كنت صديقه الصدوق وكاتم أسراره، وعندما أخبرني بما عزم عليه حذّرتُه من مغبة الذهاب وحده، خاصّةً أنه متجر سري، لكنه لم يستمع إلى تحذيري، سيطرَت عليه الرغبة الجارفة في اقتناءِ تلك المبتكرات، حتى أصبح مهوسًا بها، وبعد اكتمال المبلغ المطلوب طلب مني مرافقته إلى المتجر، لكن لم تسنَح الفرصة بسبب مرض زوجتي؛ فذهب وحده، على وعد بمرافقتِه المرة القادمة، وانتظرتُ طويلًا لكي أطمئن عليه، مرت فترة طويلة ولم يهاتفني، طلبته لم يكن يُجِيب على هاتفه المحمول، وبعد فترة وجيزة أغلق الهاتف، بحثتُ عنه طويلًا لكن لم أجده؛ لذلك بحثتُ عن ذلك المتجر لكي أطمئنّ عليه، ثم هتف في صرامة:

– أين (وليد)؟

فجأة ظهرَت قطة في وسط الحجرة..

كأنها ظهرَت من العدم..

القطّة لونها أبيض وتوجد بعض الخطوط السوداء، لكن اللون الغالب الأبيض، القطة تقِف في شموخ وكبرياء، نهرَها لعلّها تتراجع، كانت نظرات عينيها كلها تحدٍّ، شعر (رامي) بالخوف الشديد، (حاتم) هو الآخر نهرها في قوة، لكن لا تزال موجودة في مكانها لم تتحرك قيد أنملة، أخذ يلوّح بيده في قوة وسرعة، لكن الوضع كما هو..

لوّح (رامي) بيده هو الآخر نحوها، لم تتحرك، فجأة انطلق مواءٌ من مكان قريب للغاية، الصوت يتزايد.. يقترب رويدًا رويدًا.. أصوات قطط كثيرة!

تلفَّتَ حوله لا يشاهدهم، إذًا من أين يأتي؟!

فجأة هجم القط اللعين على قدم (حاتم).. حاول أن ينبش مخالبه بها.

صرخ (حاتم) في فزع وهلع، خاصة أنه يخشى كثيرًا من القطط والكلاب، حاول التخلص منها لكنّها ما زالت تنبشُ مخالبها في قدمه.. تعلقت في البنطلون.

تلفّتَ حوله أمسك أول شيء أمامه، ثم قذَفَها تجاه القطة، ارتطمَت في جسدها، لم يبدو عليها التأثر من اللّطمة!

حاول جاهدًا إبعادها عنه، ما تزال تنبشُ مخالبها في قدمه، حاول حاتم أن ينفضَ قدمه، لكنها تمسك في البنطلون الجينز بمخالبها القوية.. مخالبها كأنها كلّابات قوية!

هتف (حاتم) في رعب:

– أنقذني يا (رامي) بالله عليك!

وجد أمامه سكينَ مطبخ كبير الحجم، أمسكَها وهو يلوّح بيده تجاهها، تجاهلته تمامًا.. لم تلتفت تجاهه، فجأة توقفَت عن نبش قدم (حاتم)، التفتَت تجاه (رامي) وحدجته بنظراتها الشرسة!

لم يبالِ بنظراتِ عينيها المتوحشة، أخذ يلوّح بالسكين، بدأَت تقترب منه.. الخوف يتملّكه.. أفلت السكين منه دون قصد، وقعَت على الأرض ثم ارتطمت بجسدها، سمع أبشعَ صوت.. صوتٌ أجشّ، كان صوتها يختلف عن صوت مواء القطط، بدأَت تتلوّى في الأرض من آثار الطعنة.. بدأت في النزيف، ما هذا؟!

إنها دماء سوداء اللون!

فرغ فاه (حاتم)، القطّة بدأ لونها يتغير تدريجيًا!

اكتسَت باللون الأسود، كان اللون الأسود يزحَف ويغطي جسدها بالكامل، لم ينتبه (حاتم) أن نقطة من الدماء سقطَت على قدمه، نفس ما حدث في جسد القطة، اللون الأسود زحف على قدمه.. تحول جسده.. الدماء بدأت تتجمع مرة أخرى!

فجاة سقط (حاتم) على الأرض!

لمحَهُم، شاهد مئات من القطط.. عيون كثيرة، تحيطُ بهِم من كل جانب، عيون شرسة.. شريرة.. فجأة..

لمح دماء (حاتم) الحمراء تغرق الأرض، لابد أنه أصيب إصابة بالغة.

بدأت الدماء تتحوّل إلى اللون الأسود! ثم بدأت تتحول إلى قطط سوداء اللون صغيرة... مئات من القطط الصغيرة!

ثم هجمَت عليه.. نشبَت مخالبها في جسده، ما هي إلا لحظات قصيرة حتى كان جسده تحوّل إلى هيكل عظمي فقط، لم يتبقّ منه إلا العظام فقط.

ثم التفتَت تجاه (رامي)، وتقدّمَت نحوه في بطء شديد، حاول التراجع إلا أنها حاصرته، فلم يجد منفذًا للهروب، توقّع أن تهجم عليه، لولا أن أشار القط الأسود بإشارة من يده؛ فتوقّفَت تمامًا، ثم حدث أغرب شيء أمامه، لقد هتف القط:

– مرحبًا بكَ يا صديقي.

لم يستوعب (رامي) الأمر، ثم هتَفَ بصوت متحشرج متسائلًا:

– صديقك؟! من أنت؟!

خُيّل إليه أن القطَّ يبتسم قائلًا:

– ألا تعرفني؟!

ثم حدث أمر في غاية الغرابة، لقد تحوّل جسده من قطة إلى شخص..

شخص يعرفه جيدًا، كان صديقه (وليد)!

فغر فاه (رامي) وألجمته المفاجأة قبل أن يستوعب الأمر، وهتف في لهفة:

– صديقي العزيز، كيف حالك؟! لقد بحثتُ عنك طويلًا حتى توصلتُ إلى هذا المكان.

ابتسمَ (وليد) ابتسامة خفيفة، وهو يقول في هدوء:

– أشكرك على مجهودكَ الرائع، لكن لم يجِب أن تبحث عني.

همّ أن يسأله لولا أن تذكر صديقه (حاتم)؛ فأشار على هيكله العظميّ، وهتف في غضب:

– لماذا قتلته؟! لقد كان يساعدني في البحث عنكَ.

انطلقَت ضحكة عالية.. ساخرة.. مستفزة ، قبل أن ينظر إلى الهيكل العظميّ وهو يقول:

– للأسف الشديد لقد ورطته في الأمر، وكان لابد من التخلص منه.

علَت وجهه علامات الدهشة، قبل أن يهتف متسائلًا:

– لماذا؟! هل هذا جزاء المعروف؟! ثم ما الذى حدث منذ قليل؟! كيف تحوّلتَ إلى قطة؟!

أجابه بسرعة:

– سوف أقصّ عليك الموضوع، لقد حضرتُ إلى هنا واقتنَيتُ كل الهدايا التذكارية والمنتجات الرائعة، وعندما هممتُ بالخروج قابلني مدير المكان، ثم أمسك بي ووضعني في قفص حديد، حاولتُ الهروب لكن فشَلتُ، عندها حضر وأطلعني على سرّه، وهو أن هذا المكان لا يتبَعُ سطح الأرض.. بل هو تابع لباطن الأرض، وكل ما تراه من قطط هي في الحقيقة مخلوقات تسكن باطن الأرض، ويمكنهم التحول إلى قطة أو رجل أو امرأة، وخيّرني بين الانضمام لهم أو أصبح غذاءً لهم، لم يكن لديّ اختيار؛ ففضّلتُ الانضمام لهم، وبعد ذلك حقَنني بعقارٍ طبّي حتى أكتسب القدرة على التحول، وصحبني إلى باطن الأرض، ولا أخفيك سرًا.. لقد انبهرتُ بالتكنولوجيا والأجهزة الحديثة التي لا مثيل لها على سطح الأرض، لكن تبقَّت مشكلة واحدة فقط.. الغذاء؛ فنحن لا نتغذّى على البقوليات أو الخضروات، غذاؤنا الوحيد هو البشر، لقد تم إنشاء هذا المكان لصيد البشر والتغذية عليهم، كل ما تراهم أمامك من سكان الأرض وتم حقنهم بذلك العقار.. لقد تم استدراجهم إلى هنا ولن نستطيع المغادرة؛ لأن هذا العقار له آثار خطيرة؛ فهو ما زال في طور التجارب، فنحن لا نستطيع الخروج في ضوء الشمس؛ لذلك ننتظر ليلًا للخروج لاصطياد الغذاء.

توقَّف لحظات لالتقاط أنفاسه، قبل أن يتمتم في أسَى:

– للأسف الشديد يا صديقي العزيز لن أستطيع السماح لك بالخروج، لا يوجد سوى حلٍ وحيد.

هتف (رامي) في جزع:

– ما هو؟!

أجابه سريعًا:

– الانضمام إلينا.. فإما هذا الحل وإما تصبح غذائنا.. ما رأيك؟

ألجمته الصدمة، فلم تستطع قدماه حمله، افترش الأرض وهو يفكر في الهروب، لكن ما أن شاهدهم يحيطون بهِ إحاطة السوار بالمعصم؛ فلم يجد بُدًّا من الاعتراف بهزيمته، نكس رأسه وهو يتمتم:

– دعني أعترف بهزيمتي، حسنًا سوف أنضم لكُم.

تهلّلَت أساريره وهو يقول في سعادة:

– مبارك لك يا صديقي العزيز، لن تندمَ على اختيارك؛ فسوف ينضم كل سكان الأرض بعد فترة وجيزة.